



لا يكتمل الحديث عن الثورات العربية عموماً وال السورية خصوصاً إلا بقراءة أحوال الإسلاميين ودورهم فيها، وهو حديث عن مروحة واسعة من القوى السياسية والجماعات الدينية، والأهم عن فئات شعبية واسعة وجدت في الملاذ الديني عزاء روحياً يعينها على مواجهة واقع قائم على الاستبداد والفساد وأوضاع تنموية ومعيشية مزرية كرست تبايناً صارخاً بين قلة من ملاك الثروة وجموع غفيرة يكويها الفقر والتخلف والجهل.

يحتل «الإخوان المسلمون» الموقـع الأـبـرـز بين الأحزـاب الـديـنـيـة في سـورـياـ، ليس فـقـط لأن التنـظـيمـاتـ الـأـخـرـىـ غـيرـ مـؤـثـرـةـ أوـ وـازـنـةـ،ـ كـحـزـبـ التـحرـيرـ الـإـسـلـامـيـ الـذـيـ لاـ يـزالـ ضـعـيفـ الـحـضـورـ وـالـاـنـتـشـارـ،ـ وـزـادـتـهـ ضـعـفـاـ حـمـلـةـ الـاعـتـقـالـاتـ الـتـيـ طـالـتـ،ـ مـطـلـعـ الـأـلـفـيـةـ،ـ أـهـمـ كـوـادـرـهـ فـيـ دـمـشـقـ وـحـمـصـ وـحـلـبـ،ـ وـإـنـماـ أـيـضـاـ لـأـنـ «ـالـإـخـوـانـ الـمـسـلـمـيـنـ»ـ كـانـواـ الشـغـلـ الشـاغـلـ لـلـبـلـادـ فـيـ غـيرـ مـنـاسـبـةـ وـلـمـ يـغـيـبـواـ عـنـ الـمـشـهـدـ السـيـاسـيـ،ـ وـلـأـنـهـ اـسـطـاعـواـ بـعـدـ سـنـوـاتـ الـمـلاـحـقـةـ وـالـقـمـعـ الشـدـيدـ الـوـقـوفـ نـقـيـاـ مـنـ الـمـاضـيـ وـتـجـدـيدـ حـضـورـهـ عـبـرـ رـؤـيـةـ سـيـاسـيـةـ جـدـيـدـةـ اـسـتـنـدـتـ إـلـىـ مـطـالـبـ النـاسـ فـيـ الـحـرـيـةـ وـالـكـرـامـةـ وـدـوـلـةـ الـمـوـاـطـنـةـ،ـ مـاـ أـهـلـهـمـ لـلـمـشـارـكـةـ فـيـ أـكـثـرـ مـنـ اـتـلـافـ سـيـاسـيـ مـعـارـضـ،ـ فـيـ إـلـانـ دـمـشـقـ ثـمـ جـبـهـةـ الـإنـقـاذـ،ـ وـأـخـيـراـ فـيـ الـمـجـلـسـ الـوـطـنـيـ السـوـرـيـ!

إن تمسـكـ «ـالـإـخـوـانـ الـمـسـلـمـيـنـ»ـ بـسـلـمـيـةـ الـثـوـرـةـ وـرـوـحـمـ التـشـارـكـيـةـ وـانـضـوـائـهـ فـيـ صـفـوفـ الـمـعـارـضـةـ السـيـاسـيـةـ،ـ إـذـ يـدـلـ عـلـىـ عـقـمـ مـرـاجـعـتـهـ الـنـقـيـةـ وـمـاـ خـلـصـواـ إـلـيـهـ حـوـلـ اـحـتكـامـهـ لـلـعـلـمـيـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ وـالـأـسـالـيـبـ الـلـاـعـنـيـةـ،ـ فـإـنـهـ لـمـ يـقـنـعـ الـجـمـيعـ،ـ وـثـمـةـ مـنـ لـاـ يـزالـ يـطـعنـ فـيـ صـدـقـيـةـ مـوـاـقـفـهـ وـيـثـيرـ الشـكـوكـ حـوـلـ جـدـيـةـ تـحـوـلـ جـمـاعـةـ دـيـنـيـةـ تـمـيـزـتـ تـارـيـخـاـ بـعـصـبـيـتـهـ الـأـيـديـولـوـجـيـةـ وـبـأـسـالـيـبـهـ الـعـنـفـيـةـ نـحـوـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ،ـ خـاصـةـ أـنـهـ لـاـ تـزـالـ تـحـمـلـ اـسـمـاـ ذـاـ مـدـلـولـ طـائـفـيـ يـجـعـلـهـ سـاحـةـ خـصـبـةـ لـنـمـوـ اـجـتـهـادـاتـ وـانـدـفـاعـاتـ تـهـدـدـ خـيـارـهـ الـدـيمـقـراـطـيـ،ـ وـيـعـتـقـدـ هـؤـلـاءـ أـنـ هـذـاـ تـنـظـيمـ يـضـمـرـ عـمـومـاـ غـيرـ مـاـ يـظـهـرـ،ـ وـأـنـهـ لـبـسـ رـدـاءـ الـمـدـنـيـةـ وـالـسـلـمـيـةـ لـإـعـادـةـ بـنـاءـ جـسـورـ التـواـصـلـ شـعـبـيـاـ وـسـيـاسـيـاـ بـعـدـ هـزـيمـتـهـ فـيـ مـطـلـعـ الـثـمـانـيـنـاتـ،ـ وـأـنـهـ غـيرـ مـرـأـةـ أـظـهـرـ بـرـاغـمـاتـيـةـ مـقـلـقـةـ فـيـ الـمـوـقـفـ مـنـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ،ـ آخـرـهـ تـجـمـيـدـ نـشـاطـهـ الـمـعـارـضـ إـبـانـ أـحـدـاثـ غـزـةـ،ـ مـحـذـرـيـنـ مـنـ الـمـسـتـقـبـلـ،ـ وـمـنـ أـنـهـ لـنـ يـمـرـ وـقـتـ طـوـيـلـ حـتـىـ تـتـكـشـفـ حـقـيـقـتـهـ،ـ وـتـعـودـ حـلـيـمـةـ لـعـادـتـهـ الـقـدـيمـةـ،ـ لـنـقـفـ أـمـامـ مـشـرـوعـ سـيـاسـيـ دـيـنـيـ وـمـاـ يـتـرـبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـنـ نـتـائـجـ مـدـمـرـةـ لـلـمـشـرـوعـ الـدـيمـقـراـطـيـ.

في المـقـابـلـ،ـ ثـمـ إـسـلـامـيـوـنـ هـمـ أـشـبـهـ بـجـمـاعـاتـ تـلـفـ حـوـلـ بـعـضـ الـمـشـاـيخـ وـعـلـمـاءـ الـدـينـ وـتـمـنـهـمـ الـوـلـاءـ وـالـثـقـةـ،ـ مـنـهـمـ مـنـ تـمـاـيزـوـاـ عـلـىـ أـسـاسـ نـهـجـهـمـ الدـاعـيـ لـلـسـلـمـيـةـ وـالـلـاـعـنـيـةـ،ـ وـمـنـهـمـ مـنـ اـقـتـدـواـ بـنـجـاحـ النـمـوذـجـ الـتـرـكـيـ الـذـيـ حـفـرـ عـمـيقـاـ فـيـ الـبـيـئةـ الـإـسـلـامـيـةـ السـوـرـيـةـ مـشـجـعـاـ نـمـوـ جـمـاعـاتـ عـلـىـ صـورـتـهـ وـمـثـالـهـ،ـ عـرـفـواـ بـاـسـمـ الـتـيـارـ إـسـلـامـيـ الـدـيمـقـراـطـيـ،ـ وـمـنـهـمـ مـنـ اـنـسـاقـوـاـ

خلف روى سلفية أو أفكار جهادية، لعبت بعض القنوات الفضائية الدينية دوراً في نشرها والتأثير على الحراك الشعبي، خاصة أن لديهم ما يكفي من التأويلات للنصوص الدينية لإضفاء الشرعية على أهدافهم وأساليبهم في ظل احتقان غير مسبوق للغرايز ولده العنف السلطوي المفرط. ولم يضعف حضور هذه الجماعات النقد الذي تعرضت له من أحزاب إسلامية بأنها قد أساءت للحراك الشعبي وأفقدته تعاطف الناس وجرته إلى تحديات خطرة كان في غنى عنها، فالحق يقال، إنه واطرداداً مع ازدياد شدة القمع والتنكيل والازياح الطائفي، ازدادت الدعوات للطرف والجهاد، وازداد الرصيد الشعبي لهذه الجماعات، بجانب التفاف الكثيرين حول شعاراتها ورموزها، خاصة أولئك الذين لم تعد لديهم قدرة على تحمل المزيد من القهر وفقدوا الأمل في أي معين، محلي أو عربي أو إقليمي، يرد عليهم بعض الأذى والضرر!

من جهة أخرى، هناك الإسلام الشعبي الذي ينمو وينتشر في القرى والأرياف وأحزمة المدن الفقيرة، والذي يثير بطقوسه وشعائره الجمعية حالة من التضامن والتكافل بين الناس تعينهم على ما هم فيه، خاصة أن الدين يشكل لدى عموم السوريين أحد عوامل الضبط والتماسك الاجتماعي، ويعد عند الكثيرين المعيار القيمي الذي يحول دون الانفلات والتردي الأخلاقي، وهذا النوع من الإسلاميين لا يخضع عادة لأحزاب دينية ولا يحكمه مشروع أو برنامج سياسي محدد، بل يشكل عادة ميداناً للتنافس والصراع بين قوى وتنظيمات الإسلام السياسي، وبالفعل كان لهؤلاء دور عفوي كبير في انطلاق الحراك السوري وفي مده بأسباب الاستمرار وبالتضحيات الثمينة، خاصة مع بروز هم جامع وملح لدى غالبيتهم حفته الثورات العربية على إحداث تغيير في المجتمع يضمن لهم كرامتهم وحقوقهم، ويزيل التمييز والفاوارق من كل الجوانب الحياتية التي عانوا منها طيلة عقود، وما عزز حضورهم ومشاركتهم الاختيار الرمزي ليوم الجمعة من أجل تسخين الاحتجاجات واعتماد المساجد محطات للتجمع وانطلاق المظاهرات، ولجوء المحتجين إلى بعض الهتافات والشعارات الدينية في مواكب التشبيع، والأهم أثر القمع المعمم والعنف المفرط في كسر حياد الكثيرين منهم وجرهم جراءً لخوض غمار هذا التحدي!

ومع أخذ ما سبق بعين الاعتبار والتفهم، فمن العدل والإنصاف القول إن الرصد الموضوعي لقوى الإسلام الشعبي في الثورة السورية يكشف اليوم تجاوزاً للغوفية وحضوراً لأوساط ذات مصداقية من المتدينين والإسلاميين المستقلين، احتلوا الصنوف الأمامية وتصدوا ببسالة للقمع والتنكيل، ينتمون إلى فئات شبابية لا تسيرها قيادات سياسية أو مواقف أيديولوجية محددة، ترى في عقيدتها الدينية ما يحفزها للدفاع عن قيم الحرية والكرامة والمساواة وما يقطع مع الأساليب القسرية والتسليطية! والحال أنه أيًّا كان وزن الإسلاميين على اختلاف أطيافهم في الحراك الشعبي، وأيًّا كان دورهم، فإن عليهم مسؤولية كبيرة لا تحمل التأجيل في خصوصية المجتمع السوري وطابع مكوناته، تتمثل في محاربة كل أشكال التعصب والتطرف وإثبات عمق التزامهم بقيم الثورة في الحرية والكرامة واحترام حقوق الإنسان، للرد على محاولات الطعن في صدقيتهم، ولدحض هواجس ومخاوف تتنامي لدى الناس من حالات الفرز والاصطفاف الديني أو الطائفي.

المصدر: الشرق الأوسط

المصادر: